اسماعيل هنية أصبح رئيسا للوزراء بفضل قربه من احمد ياسين.. وخصومه كثيرون: الاسرائيليون والفتحاويون والمتطرفون في حماس

ديختر: هنية لا يتمتع بالحصانة وقد نستهدفه في اي وقت وسيعتقل اذا وقع في يد الجيش الاسرائيلي على الحواجز

■ الساحة الأكثر اشتعالا في الشرق الاوسط ليست موجودة في قاعات الاجتماعات المفتخرة ولا في الدواوين التي تغص بالمستشارين الملازمين للشاشات الرقمية من كل أرجاء العالم. قلب الحدث ينبض في صالون منزل عائلة هنية في مخيم الشاطىء للاجئين. أحد الاماكن الأكثر فقرا في العالم. لا مصبات مائية ولا طرقات ومتنزهات ولا اراضي مكسوة بالخضرة، وانما قطعة ارض هي الأكثر رخصا تقع على شاطىء البحر المتوسط، حيث ينتصب الحي الأكثر اكتظاظا في العالم، 80 ألف نسمة يعيشون على 800 دونم. في هذا المنزل، في قلب المخيم، الذي ترتسم شعارات القدس الحبيبة واحمد ياسين المتوفى على جدرانه، يستقبل رئيس الحكومة القادم قوافل المهنئين والمتفعين والحالمين. الصحافيون جاؤوا في هذا الاسبوع الى هناك، ومثلهم الاقتصاديون ورجال الدين والنشطاء السياسيون وكذلك الحال مع الناس البسطاء الذين جاؤوا لملامسة رئيس فلسطين الجديد.

بعض رفاقه المقربين لم يستوعبوا بعد هذه الصورة. قبل مدة وجيزة لم يسمح اسماعيل هنية (43 عاما)، لنفسه بامتياز معرفة العالم كله أين يتواجد بالضبط. في تلك الفترة التي أصبح فيها هدفا للاغتيال على قائمة الاجهزة الأمنية الاسرائيلية، وعنوانا للصاروخ القادم، لم يكن يظهر إلا بصعوبة. كان يتحرك من مكان الى آخر بسرية، متنكرا ومحاولا الفرار من المروحيات الهجومية التي تلاحقه. هنية كان مطلوبا طول خمس سنوات، وعاش طريدا في مواجهة من يُلقبه الغزاويون بـ«الصياد». أي آفي ديختر، الذي كان حتى مدة وجيزة رئيسا «للشاباك». «على هنية أن يشكر ربه مرتين في اليوم»، يقول ديختر، «لأنه ما زال حيا يرزق».

بالرغم من توفر فرص لتصفيته، إلا أن «اسرائيل قد تنازلت في أكثر من مرة خشية اصابة أبرياء في عملية الاغتيال»، يقول ديختر. حسب التخطيط الاسرائيلي كان من المفترض أن يكون السادس من ايلول (سبتمبر) 2003 آخر يوم في حياة هنية. «هذا الشخص»، يقول ديختر، «كان جزءا من آلة القتل الحمساوية». قنبلة تزن ربع طن سقطت على المنزل الذي انعقدت فيه كل قيادة حماس، «منتخب الأحلام»، كما يسميها ديختر. القنبلة أصابت سطح المنزل في الوقت الذي كان فيه كل قادة حماس في الطابق الارضي ـ إلا أنهم خرجوا من دون أذى. هنية نجح في الفرار. كل المنتخب نجا بمن فيهم الشيخ احمد ياسين وعبد العزيز الرنتيسي. في نهاية المطاف أصابت الصواريخ الاسرائيلية الاثنين الأخيرين.

هنية كان محظوظا. حسب ديختر. ياسين والرنتيسي كانا حينئذ قيادة التنظيم ورموزا بارزة وأهدافا مفضلة للاغتيال. وعندما جاء دور هنية جاءت الهدنة التي منحته حصانة معينة. «بصورة مؤقتة فقط»، يكشف ديختر. «أنا لا أرى وضعا يُصبح فيه هنية ذا حصانة بسبب كونه رئيسا للوزراء. لقد كان في نظري وما زال شخصية ارهابية مهما كان منصبه. تماما مثل البرغوثي. اذا حدثت عملية، وردت عليها اسرائيل بعملية اغتيال ـ فان هنية سيكون هدفا مشروعا لان حماس لا تستطيع أن تنفذ عملية من دون موافقة القيادة. اذا وصل هنية الى حاجز عسكري فانني أعتقد أنه سيُعتقل ويتعرض للتحقيق والمحاكمة بسبب دوره في العمليات».

اقوال ديختر هذه ستتسبب في اختلافات في وجهات النظر على ما يبدو: هل يحق لاسرائيل أن تمس برئيس وزراء فلسطيني. ولكن آخر شخص سيفاجأ من ذلك هو اسماعيل هنية. «هو يعرف»، يقول أحد مقربيه، «أنه لا يملك أي حصانة ويعرف أنه سيُعتقل، ولذلك لا يتزحزح من غزة. هو على قناعة أن اسرائيل ستحاول قتله. هنية ينتظر ذلك ولا يخشاه ولا يختفي» ـ ولكنه لن يقدم رأسه على طبق ايضا: اربعة حراس يرافقونه الى كل مكان يتوجه اليه.

أمير الفقر والتردي

اول مرة يشاهد فيها اسماعيل هنية وهو يبكي كانت بعد دقائق من اغتيال الشيخ ياسين. «احمد ياسين كان كل شيء بالنسبة له»، قال لنا رفيقه. الشيخ احمد ياسين كان مرتبطا كثيرا بهنية من بين كل المجموعة الشبابية التي تحيط به. «أنت مثل ابني»، قال له. كلاهما جاءا من مخيم الشاطىء للاجئين. في ظل احمد ياسين لم تبرز شخصية هنية، ولم يحاول إبراز نفسه مُظهرا الولاء التام للشيخ. «ياسين وثق به تماما»، قال الدكتور فتحي الشقاقي، الباحث الفلسطيني. الشيخ احمد ياسين كان مؤمنا بأن هنية لن يبحث لنفسه عن ملذات الحكم والسيرة السياسية المستقلة. الجانب الرمادي من اسماعيل هنية الذي لا يهدد القيادة هو الذي أوصله الى رأس قائمة حماس. رجل تسويات وتحالفات ومتجنب للانقسامات. الختيار أحب ببساطة هنية، الشخص الذي يُملي عليه تواضعه اسلوب حياته.

«لن تروه مع ربطة عنق في أي وقت من الاوقات»، يقول أحد أتباعه موجها بذلك لسعة للاسلوب الدحلاني الصارخ. «هو لا يرتدي ماركة ديور، ولا يحمل ساعة رولكس». ما زال حتى اليوم يسافر في سيارة ميتسوبيشي قديمة. رفاقه يقولون انه يعيش براتب 500 دولار في الشهر. اعتزازه الكبير يتمحور حول عدم مغادرته لخيم اللاجئين بالمرة. في الايام الأخيرة، عندما دخل في خطوات محسوبة الى منصب رئيس الوزراء، أوضح بأنه لا ينوي اتباع أي شكل من أشكال النمط الذي يترافق مع المنصب. «لن أغادر مخيم الشاطىء أبدا»، قال. الربط الأصيل بين الفقر واللجوء هو رايته، وهذه ليست دعاية انتخابية: والداه هربا في عام 1948 من قرية الجورة في محيط عسقلان. هنية يحرص على اسلوب نقي وزاهد كثوري راهب ذي عينين متقدتين في الساحة الفلسطينية التي سئم فيها الناس من الفاسدين في الحكم الذين يقطنون في الفيلات والأطيان الضخمة.

قُرب اسماعيل هنية من احمد ياسين هو أحد الامور الأكثر مغزى في سجله. «هذا مصدر صلاحياته»، قال يوني فيغل، باحث بارز في معهد دراسات الارهاب في مركز هرتسليا متعدد المجالات. «السنوات التي كان فيها هنية ملازما لمؤسس حماس ومتواجدا في كل المواقف التي تتخذ فيها القرارات واللقاءات السرية وادارة التنظيم وبلورة السياسة ـ هي التي بنته». اسماعيل هنية تعلم من احمد ياسين كيفية ادارة تنظيم ارهابي، سياسي واقتصادي. هذه كانت مدرسة العُمر بالنسبة له، كما يقول فيغل.

على امتداد السنين، يقول آريه لفنه، رئيس منطقة الجنوب في «الشاباك» سابقا «كان هنية أقل تدخلا في الذراع العسكرية، وركز على توسيع الصفوف: الصدقات والرفاه والتربية والتعليم. هنية كان رجل شارع، شخصا من الجهاز الذي يدر الاموال الهائلة على مشاريع حماس».

ولكن ديختر لا يشك بأن هنية هو منتوج ياسيني صارخ، وأن عيونه تتوجه نحو الكفاح المسلح. «هنية تبلور في ظل أحمد ياسين»، كما يقول ديختر، وبذلك يجرده من صورته المعتدلة. «هو كان قريبا من ياسين وتعلم منه كل الامور السيئة والفظيعة لانه لم يكن يملك امورا جيدة. هذا الشيخ لم يقتل الاسرائيليين فقط وانما الفلسطينيين ايضا. وعندما قام بالتسبب في القتل من الممكن أن نكون متأكدين أن رئيس مكتبه كان ضالعا في ذلك بالتأكيد».

أتباع حماس يرون في اقوال ديختر إعداما من دون محاكمة. كتجسيد للتعالي الصارخ الذي يؤيد سياسة الاغتيالات. أحد كبار قادة حماس في غزة قال: «هنية لم يكن أبدا جزءا من الذراع العسكرية، وهو لم يقم بالتأكيد باصدار الأوامر للعمليات، ولكن من المريح للاسرائيليين القول انه لا يوجد فصل بين الجهاز السياسي والعسكري في الحركة».

في اليوم الذي كلفه فيه أبو مازن بتشكيل الحكومة، قام هنية بعقد مؤتمر صحافي. هذا حدث في معقله الخاص في منزله في مخيم الشاطىء. الى جانبه كان أبناؤه الكبار همام وعبد. ومن حولهم تزاحمت الصحافة والأضواء من كل أرجاء العالم حتى يسمعوا «مستر فلسطين». هنية خرج الى جيش الصحافيين مرتديا عباءته ورداءه الديني. بهذه الطريقة اختار هنية إظهار صورته الاولى في السلطة للعالم.

حتى اليوم لم يكونوا ينظرون اليه كقائد. هناك اشخاص أكثر بروزا منه في حماس. صحيح أنه جاء لاظهار من الذي أصبح رب البيت، ولكنه يعرف أنه ليس هذا الشخص بعد. إحداث الانقلابات يستوجب منه مواجهة اشخاص أكثر قوة منه. القيادة في دمشق، خالد مشعل وأبو مرزوق، تعتبر صاحبة القرار السياسي العام مثل «مجلس حكماء الاسلام». من يعرفه يقول ان الانقلابات ليست اسلوبه، ولذلك لا توجد احتمالية بأن يعترف باسرائيل خصوصا ليس في الفترة القريبة. حتى الاسرائيليون الأكثر اعتدالا لا يخدعون انفسهم بأن ذلك سيحدث. يوسي بيلين مثلا، «غير مستعد لاعطائه وصفا براغماتيا. هو قائد شاب يقطن في فقاعة متطرفة. أنا لا أرى بوابة للمفاوضات».

اعتدال اسماعيل هنية لا يؤثر في الحمائم الاسرائيليين. ولكنه جذاب في نظر الفلسطينيين. بأسلوبه يعتبر نقيضا للرنتيسي المحرض والحربجي. رجل لطيف المُحيا، ذو كلمات متزنة ويعرف كيف يصغي للآخر. كما أن سجله حافل بالمفترقات المدنية وليس بالأوسمة الحربية. هو تعلم الأدب العربي في جامعة غزة، وكان عميدا وهو قارىء متحمس وفي بيته كتب كثيرة غير دينية ايضا. رغم مقاساته الكبيرة، طوله 190 سم، إلا انه كان لاعب كرة قدم في مخيم الشاطىء وكان ضمن المنتخب المحلي. في اوقات فراغه يقوم بمشاهدة برامج تلفزيونية ومباريات كرة قدم. ابنه يشرف على برنامج رياضي في الاذاعة.

كما توجد في سجله ثلاث سنوات في سجن كتسيعوت بتهم هامشية وسخيفة تقريبا مثل توزيع المنشورات في الانتفاضة الاولى. هو لا يدخن ويفتقر الى روح الدعابة. من المحظور التحدث عن زوجته، ولا يمكن ايجاد صورة لها في أية صحيفة. لديه 11 ابناً. هو يحرص على الصلاة وفي بعض الاحيان يلقي خطبة الجمعة في المسجد. هنية يعتبر متحدثا فصيحا وجذابا ومؤثرا. خلال المقابلات يحذر من الانزلاق نحو عبارات تُظهره بصورة متطرفة، وخصوصا الآن حيث يحتاج الى الشرعية والى اموال العالم. هو ليس فظا وهجوميا كقادة حماس الآخرين. ولكن لديه تصريحات حادة واحيانا تهديدية. «فلسطين كلها ستتحول الى جهنم»، وعد بعد تصفية احمد ياسين. «فلسطين ستكون فوق كل مساحة اسرائيل وقوانينها ستكون منبثقة من القرآن»، قال مؤخرا. وخلال موجة اعتدال عابرة قال: «نحن لا نريد إلقاء اليهود لاسماك القرش في البحر، وانما نريد فقط استعادة ما استُلب منا».

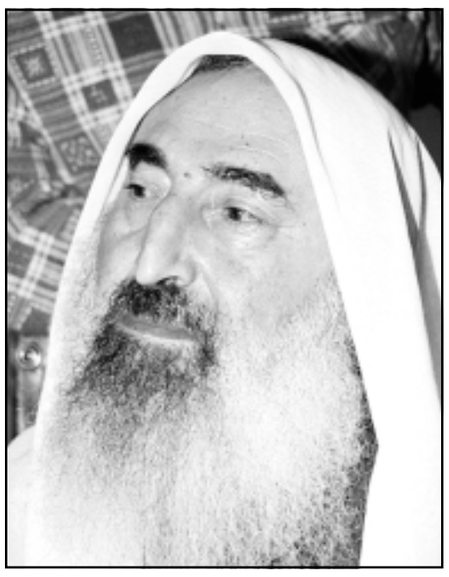

الشيخ احمد ياسين

اسماعيل هنية

حتى يوسي بيلين لا يستطيع التشبث به كعنوان جدير للأمل. وهناك ايضا أكثر منه فظاظة مثل يوفال شتاينيتس، الرمز اليميني في الليكود الذي يقول إن «على اسرائيل أن تمنع هنية من تشكيل حكومة من خلال فرض الحصار على مراكز الحكم في الضفة وغزة. اقامة حكومة حماس ستؤدي الى نشوء دولة حمساوية ايرانية». قادة فتح، الذين تلقوا ضربة من هنية في الانتخابات، غير مستعدين لقبول هذا النفور الاسرائيلي والتهديدات الموجهة له. «كنت خصمه، لكنه الآن رئيس وزرائي»، يقول جبريل الرجوب الذي نافس حماس في الانتخابات وهُزم. «من الجنون التحدث بهذه الطريقة عن تصفيته. هناك اسرائيليون لا يريدون اتفاقا مع أي أحد، وعدا عن ذلك أنتم الذين قمتم بجرنا الى هذا الوضع».

في سجن كتسيعوت في النقب (أنصار)، رفض هنية تعلم العبرية، ولم يكن مستعدا لامتصاص حتى جزيء صغير من ثقافة العدو. «قتلتم الشخص الأكثر قربا له في العالم»، يقول لنا صديقه من غزة. «ولكنه لم يقل في أي مرة من المرات انه يكره الاسرائيليين». في كل صباح يقوم بعقد اجتماع لأعوانه ويحصل على تقرير حول آخر التطورات في اسرائيل: أتباعه يقدمون له تغطية لجريات الانتخابات والتطورات في السياسة الاسرائيلية. خلافا لأتباع فتح الذين تصادقوا مع الاسرائيليين، ليس لهنية اصدقاء اسرائيليون. الوحيدون الذين يتحدثون معه هم الصحافيون الاسرائيليون القدامى الذين يقومون بتغطيته منذ مطلع التسعينيات عندما أُبعد الى لبنان مع الـ412 شخصا الذين قام رئيس هيئة الاركان باراك بإبعادهم الى مرج الزهور.

اسماعيل هنية ايضا لم يستعد لهذا النصر الجارف في انتخابات 2006. لم تكن هناك أي احتمالية للصول الى القمة لولا عمليات الاغتيال الاسرائيلية. الرنتيسي كان رقم اثنين، إلا أنه اغتيل. محمود الزهار هو شخصية مكروهة. هنية لم يحتل القمة بصورة عنيدة ولا من خلال صراعات قذرة ولا حيل على مستوى القيادة. هو تُوج تماما كما في الحكايات الأكثر دراماتيكية فقط لانه كان هناك. الشخص الذي لا يوجد له خصوم «الشخص الأقل كُرها»، قال ديختر، «الذي لم يشكل تهديدا لأي أحد». ولكن هذا لا يعني أنه لن ينضج للزعامة مع الوقت. «لديه الهالة والحكمة المطلوبة»، يقدر ديختر.

ليس صدفة أن المشعلين والمرزوقين قد وضعوه على رأس القائمة: هم أرادوا منه أن يحرث القطاع من اجلهم من صالون بيته الصغير حتى يقوم بالعمل الاسود، بينما يتمكنون هم من التحرك في الأجنحة الفاخرة بين دمشق وطهران. الجميع سينتظرون سقوطه: الاسرائيليون، والفتحاويون، وحتى المتطرفون في حماس. كم هي قريبة اللحظة التي سيجد فيها الشخص رقم 1 نفسه طريدا وملاحقا اذا كبا خلال مسيرته.

تصادوق يحزقيلي وعنات تال ـ شير
كاتبان في الصحيفة
(يديعوت احرونوت) 2006/2/24

عربدة المارد الامريكي في المنطقة وافكار فرض الديمقراطية قادتا لتدهور الوضع

هوس شارون بطرد عرفات من لبنان خلق حزب الله وتصميمه على طرده من المقاطعة جلب هنية ومشعل وابو مرزوق الى رام الله

■ شخصان، اريبل شارون وياسر عرفات، هما المسؤولان. اذا ما تجاهلنا للحظة هراء الساعة وتعالينا للحظة عن مستوى النظر، اذا تبنينا لغمضة عين نظرة تاريخية، فسنرى الصورة بكامل وضوحها: ياسر عرفات واريئيل شارون، بحياة وموت (أحدهما) هما محدثا المسيرة. كل شيء بدأ، استمر وحصل بالهامهما. الهوس غير القابل للكبح لدى شارون بطرد عرفات ومخربيه من لبنان خلق حزب الله، جلب نصر الله وجعل لبنان موقعا ايرانيا متقدما ومخزنا للصواريخ الاسلامية القابلة للانفجار. النوازع غير القابلة للسيطرة لدى شارون في طرد عرفات حتى من المقاطعة جلبت الى هنا اسماعيل هنية، خالد مشعل وموسى ابو مرزوق و «حمس» رام الله.

ليس في هذه الاقوال ذرة عطف أو تقدير على ياسر عرفات وعمله. من جهة اخرى، يوجد فيها (وفي اقوال المزيد فالمزيد من كبار رجالات جهاز الأمن) غير قليل من التوق. شوق للايام التي كان فيها في الطرف الاخر عنوان. جلس الى هناك واحد يمكنه أن يوفر البضاعة (على الاقل في السنوات الاولى)، والتوقيع على الاتفاقات. أحد ما اعترف على الملأ بوجود اسرائيل، بحل الدولتين، يكنز الكلمات المتبع في العالم، بالمصالح التي ليست فقط اسلامية اصولية مظلمة، مطلقة ونهائية.

واذا أضفنا الى هذه المسيرة عربدة المارد الامريكي في المنطقة في السنوات الاخيرة، مع افكار التحول الديمقراطية المجنونة لديهم والتي تضرم النار في الشرق الاوسط وتهز اسس انظمته، فاننا سنصل بالضبط على ما نحصل عليه هذه الايام.

جنون اخضر من الجدار الى الجدار: رأس الافعى يقبع في طهران واذرعها تمتد الى بغداد، بيروت، رام الله، غزة ودمشق وتهدد عمان والقاهرة. قبل بضعة ايام وصل الى القدس تقرير عن لقاء جرى في بداية شباط (فبراير) في واشنطن بين الملك الاردني عبد الله ونائب الرئيس الامريكي ديك تشيني. وحسب التقرير فان الاردنيين اصيبوا بالصدمة في ضوء الاقوال التي صدرت عن بعض رجالات تشيني الذين تحدثوا ضد أبو مازن بكلمات حادة، دعوا الى استقالته وأسموه «حائطا مائلا». والامريكيون لشدة المفاجأة، اعربوا عن رضاهم من انتصار حماس واشاروا الى ان الامر يعزز فقط مفهومهم في أنه يجب سحب اليدين من الفلسطينيين وترك الاسرائيليين «يعالجونهم».

وحسب التقدير، فقد خرج الاردنيون من مكتب نائب الرئيس باحساس في غاية الشدة. في مناطق اخرى في واشنطن، ولا سيما في وزارة الخارجية، سمعوا مفاهيم معاكسة تقضي بأنه من الضروري والواجب تعزيز ابو مازن. ولكن تشيني، الذي لا تزال مكانته صلبة اعطى النبرة. المعسكر الصقري في واشنطن يستيقظ هذه الايام من جديد رغم حقيقة أن العراق قد أصبح منذ زمن بعيد مستنقع دماء يغلي وبعد قليل سيتوقون هناك لفيتنام.

النزعة الصقرية الامريكية المستيقظة هذه تتجه الى مكان جديد: طهران. على الاقل في هذه الحالة الهدف جديد. والسؤال هو اذا لم يكونوا قد استيقظوا هناك في وقت متأخر اكثر مما ينبغي.

ففي نهاية الولاية الثانية لجورج بوش من شأننا أن نبقى هنا مع ايران نووية، لبنان اسلامي، سورية متضعضعة، دولة فلسطينية حماسية، اردن متأرجح ومصر فزعة. وعندها عندما سيكون بوسع تشيني أن يكرس كل وقته للنار المصادفة على رفاق في رحلات الصيد، سيبقى لنا مهمة «معالجتهم».

مطلوب هزة جدية

في هذه الايام ينتهي عمل لجنة خاصة شكلها وزير الدفاع شاؤول موفاز لفحص واعادة صياغة مفهوم الامن القومي لاسرائيل. ويترأس اللجنة دان مريدور وهي تضم في عضويتها من كل الوان القوس. الجيش الاسرائيلي، المخابرات، الموساد، وزارة الخارجية، مجلس الامن القومي، لجنة الطاقة الذرية. وبعض الاعضاء كانوا خرجوا الى التقاعد ممن لا يجدون رزقهم داخل الجهاز ولم يعودوا متعلقين به.

الهدف: محاولة اعادة صياغة المصالح القومية، مفهوم الامن الاساس لدولة اسرائيل، وهي شؤون لم تبحث بجدية منذ قيام الدولة (باستثناء محاولة قصيرة من وزير الدفاع اسحق موردخاي). موفاز، رغم مذهبه الكفاحي، فهم بان الجهاز يحتاج الى هزة جدية وهذه يجب أن تأتي من الخارج. مطلوب تفكير. اعادة تقدير.

غير أنه مع قيام لجنة مريدور جرى خصيها خصيا عميقا. رئيس الوزراء شارون عارض لزمن طويل رئاسة دان مريدور للجنة (الى أن رضي). وبعد ذلك حظر عليها البحث في مواضيع جوهرية، مثل المواجهة النووية، عرب اسرائيل ومواضيع اخرى قابلة للانفجار. ورغم ذلك أقامت اللجنة سلسلة طويلة من اللقاءات وصاغت توصيات. وسيقوم مريدور برفعها لموفاز الشهر القادم. لا يزال لا توجد مسودة وفي وزارة الدفاع لا يعرفون تماما ماذا سيكون مكتوبا فيها. ويظهر الفحص انه سيكتب هناك امور مثيرة للاهتمام.

اللجنة ستوصي، اذا لم تطرأ تغييرات او تنشأ مخاوف في اللحظة الاخيرة، بتعديل مفهوم الامن وتوجيهه الى الداخل. نقل مصادر من الجيش الاسرائيلي واجهزة الامن التقليدية (المدرعات، المدفعية وما شابه) الى الشرطة، حرس الحدود، المخابرات، والتركيز على الامن الداخلي. هجر القاعدة المقدسة «لنقل المواجهة الى ارض العدو»، النزعة الهجومية الدائمة للجيش الاسرائيلي (رغم اسمه) ـ في صالح الدفاع والتركيز على الدفاع عن الحدود.

وكلما دخلت اسرائيل في ترسيم حدودها (في الشمال وفي الجنوب استكملت العملية)، وكلما استكمل جدار الفصل، يتعين على اسرائيل أن تستثمر جل تفكيرها وجهودها في الدفاع عن هذه الحدود والتركيز عما يحصل داخلها. وهكذا مثلا يجب اعادة حرس الحدود الى هدفه الاصلي. ان يحافظ رجال شرطة حرس الحدود على الحدود، أن يأخذوا المسؤولية من الجيش الاسرائيلي، ان يدربوا لهذا الغرض وان يعملوا فيه كل يوم، طوال اليوم، على مدى السنة. اما الجيش الاسرائيلي فليتدرب ليعنى في شؤونه، وعندما تنشأ جبهة على هذه الحدود او تلك، يأخذ هناك صلاحياته.

الشرطة ستحصل على تعزيزات من الجيش الاسرائيلي وستُخَصص لها وسائل أكثر تطورا. قوة المدرعات الاسرائيلية التي تم تقليصها بصورة معمقة مؤخرا ستتقلص أكثر فأكثر لصالح مقاتلة المستقبل (الطائرات بدون طيار والمروحيات والاقمار الصناعية ووسائل التدمير الالكترونية). وبالمناسبة، أحد تفسيرات التبني المحتمل لتوصيات اللجنة يمكن أن يؤدي (مرة اخرى) الى اغلاق مشروع دبابة المركباه. لا حاجة للمزيد من تعزيز أسطول آلاف الدبابات الثقيلة المكلفة التي تستوجب تخصيص قوى بشرية في الوقت الذي تتوفر فيه اليوم طرقا أفضل وأكثر نجاعة لابادة دبابات العدو.

مجلس الأمن القومي كان قضية خاصة في عمل اللجنة. نحن مررنا في هذه التجربة في أكثر من مرة سابقا. وفي كل مرة يقوم رئيس المجلس الدوري (عبري، ديان، هليفي والآن آيلاند) بالتخطيط عاليا عاليا ليجد نفسه خلال فترة قصيرة فوق ارض منخفضة جدا. هذا المجلس أُقيم بمبادرة من رئيس الوزراء نتنياهو، ولكن من دون صلاحيات حقيقية. الآن قد يوصي تقرير لجنة مريدور بحل هذه المعضلة مرة والى الأبد.

للتقرير آثاره على طريقة ادارة الدولة من قبل رئيس الوزراء ومكانة المجلس الوزاري وعمل الطاقم القيادي وطريقة التفكير والرؤية الشاملة. ليس في دولة اسرائيل بعد جسم تفكيري أو تخطيطي مركزي، مدني ومتنوع، يمكنه أن يقوم بدراسة كل المعلومات المتوفرة والآراء من الجيش وخارجه لبناء رؤية شمولية واحدة. كان من المفترض أن يكون مجلس الأمن القومي هذا الجسم المنشود، مثلما يقوم نظراؤه في اغلبية دول العالم الغربي. إلا أن مجلسنا ليس كذلك.

يتراكضون من حريق الى آخر

ايهود اولمرت اذا كان سيصبح رئيس الوزراء القادم فعلا، سيضطر الى اتخاذ قرار قريبا حول كيفية ادارة الامور. هل سيواصل نفس الخط الذي كان حتى الآن (ونتائجه مشتعلة على الارض)، أم سيغير الرؤية. هل سيضفي طابعا مدنيا على الأمن القومي. وهل سيُجلس قبالته اشخاصا مدنيين وليس فقط عسكريين جامدين متحجرين وأسيرين لفرضيتهم النظرية الذاتية.

رئيس الوزراء في اسرائيل يلتقي اسبوعيا بشخصيات منفردة بمشاركة سكرتيره العسكري، وهي: رئيس الشباك، رئيس الموساد، رئيس شعبة الاستخبارات العسكرية، رئيس الاركان، رئيس لجنة الطاقة النووية وغيرهم من كبار القادة. كل واحد يقول له ما يجول في خاطره، وكل له أجندته. الرئيس يصغي وسكرتيره يلخص النقاش في وثيقة خاصة ويواصلون الى الأمام لاطفاء الحريق القادم. ليس هناك تعامل ومعالجة منظمة للمعلومات، ولا تفكير منظم. من المفترض أن يقوم رئيس الوزراء بمعالجة كل المعطيات التي تصله في ثنايا دماغه. ليست هناك بقعة مركزية تتجه نحوها كل القنوات وتخرج منها المعلومات والنتائج الملائمة.

هذه البقعة المركزية يفترض أن تكون مجلس الأمن القومي. في هذا المجلس تُركّز الذاكرة القومية بكل ما يرتبط بالأمن القومي كأرشيف مثالي ذي معلومات متراكمة. لماذا يجب أن يكون ذلك؟ لأنه آن الأوان لأن يحدث ذلك.

الكل كما أسلفنا يعتمد على اهود اولمرت. ربما يؤدي كونه مدنيا غير أسير لأخوة الجنرالات ولا لهالة العسكريين والكاريزما الخلابة التي يتصفون بها (هل حقا)، الى تمكينه من القيام بشيء ما بهذا الصدد. قد يقوم اولمرت بانعاش هذا المجلس وتقريبه منه وتحويله الى مستشاره للأمن القومي واعادة السكرتير العسكري الى منصبه الأصلي كقناة تربط بين الجيش ورئيس الوزراء على المستوى التقني ـ التكتيكي.

على سبيل المثال: رئيس «الشاباك» قدم لرئيس الوزراء قبل مدة من الزمن (لاريئيل شارون)، وأوصى ببناء جدار في قلب قرية الغجر على الحدود اللبنانية. شارون أصغى ليوفال ديسكن الذي عرض عليه بصورة مقنعة موقفه (القائم على نظرة الشاباك الضيقة؛ ووافق. ولكن في ذلك الحين دخل غيورا آيلاند، رئيس مجلس الأمن القومي، الى الصورة. المجلس أجرى نقاشا واسعا بموافقة شارون، وشارك فيه خبراء من كل الاتجاهات، بحيث تقرر في نهاية المطاف تغيير النظرة الأمنية بصورة جوهرية في الغجر بدلا من اقامة الجدار. النتائج أُرسلت الى شارون فاقتنع بها. وهكذا لن يكون هناك جدار في الغجر ولن تُقسم القرية كنتيجة لعمل الطاقم المنظم والشمولي والمطور.

ايضا في قضية حماس حدث أمر مشابه. جهاز الدفاع اقترح فك الارتباط مع الفلسطينيين بصورة كاملة واغلاق المعابر ومنع دخول العمال وفرض حصار مطبق بطريقة غاضبة وصاخبة. هنا ايضا دخل مجلس الأمن القومي الى الصورة أكثر استعدادا. هناك اليوم طاقمان يقومان بتناول قضية حماس في الواقع. الاول برئاسة فايسغلاس، ويشارك فيه رئيس هيئة الاركان ورئيس «الشاباك» ورئيس شعبة الاستخبارات وباقي العالم. أما الثاني فهو مجلس الأمن القومي برئاسة غيورا آيلاند، حيث يشارك فيه اعضاء المجلس فقط. في نهاية المطاف وبعد اصغاء كبير، تبنت الحكومة نهج مجلس الأمن القومي في اغلبية القضايا ذات الصلة. لانه عندما هدأ روع الجميع وسمعوا ما سيترتب على قطع جهاز الجمارك (خرق اسرائيلي لاتفاق باريس)، والرد المصري المتوقع وما الى ذلك، عادت العقلانية الى الجهاز.

اسرائيل بحاجة الى تفكير آخر. أكثر مدنية وأقل تجرا. تفكير من نوع يوسي بيلين (من دون علاقة باليسار أو باليمين) مع أفكار خلاقة وخيال وتحطيم للآراء المسبقة. في كل مرة نصل الى النتائج ونقبل حكم الحركة عندما يصبح الأمر متأخرا جدا. بعد حرب حزيران (يونيو) بأيام كان من الممكن الحصول على انجازات لم تعد منذ زمن ذات صلة مقابل المناطق. اتفاق بيلين ـ أبو مازن الذي استكمله يوسي بيلين في عام 1995 عشية اغتيال رابين، يعتبر اليوم حلما رديا وخياليا وغير واقعي. وهكذا دواليك. في كل مرة يثور الجهاز الأمني ـ العسكري منتصبا على ساقيه الخلفيتين وآسرا في شباكه كل الجهاز السياسي، موزعا التحذيرات الرهيبة والسيناريوهات البلهاء، ويحبسنا في داخل زنزانته. وماذا يحدث في نهاية المطاف؟ نحن نكون في خضم السيناريوهات الرهيبة والتحذيرات الحمقاء من دون امكانية للمساومة أو للرد لأنه لا يكون هناك من نساومه ولا ما نساومه عليه. قمنا بتصفية قادة حماس (حولنا الحركة الى بطل قومي)، وعززنا عرفات، وجففنا وأزلنا (ونحن الآن في خضم الحنين) وما الى ذلك. المجتمع الفلسطيني العلماني والمؤيد للاتفاق مع اسرائيل (بأغلبية كبرى) في عام 1993، حولناه الى عصبة قتلة خضراء، اسلامية، متزمتة في معظمها، لا يوجد ما يمكن ومن يمكن الحديث معه فيها.

والان يجب التصدي لحماس. ففي النهاية سنتحدث معهم أيضا. ليس الجميع في الجهاز يعتقدون بأن هذه كارثة كبرى بهذا القدر. وبالمناسبة، ففي اليمين ايضا توجد أفكار اخرى. د. يوفال ارنون اوحنا من مملكة الضفة الغربية (!) يعتقد أن مفهوم جهاز الامن والاعلام عن صعود حماس الى الحكم هستيري ووحيد البعد. يوجد في هذه المسيرة ايضا غير قليل من الجوانب الايجابية.

وحسب اقواله، فان حقيقة أن مواقف حماس واضحة وعلنية تشكل ميزة لاسرائيل. حقيقة أن حماس لا تركز على حق العودة بل على انهاء الاحتلال، نظرة حماس الى الكفاح كأمر محصور فقط في الشعب الفلسطيني في فلسطين، والشك الذي تتخذه تجاه ايران وفوق كل ذلك ـ كون حماس جهة عقلانية، غير مجنونة، تعمل حسب اعتبارات المصلحة، وكذا الهرمية وطريقة مرتبة في اتخاذ القرارات. وبتعبير آخر: هناك امكانية للمناورة، للترويض، وربما أيضا للعمل معها في المستقبل، بما في ذلك ايجاد حلول ابداعية في كل المجالات.

ومن الجهة الاخرى، يوجد موقف الجهاز. آفي ديختر، رئيس المخابرات السابق واليوم احد كبار مسؤولي كديما، يصر. حماس برأيه هي تهديد استراتيجي على المدى البعيد. وديختر لن يفاجأ اذا ما تحول «الجيش الشعبي» الذي اقامته حماس بأمر مباشر من احمد ياسين ويضم منذ اليوم نحو 5 الاف مخرب، الى ذراع فرض القانون الاساس للحكم في السلطة الفلسطينية أو بتعبير آخر الى «حراس الثورة». حماس ليست فقط ما نراه في التلفزيون، بل أيضا، وبالاساس، عصبة خفية، مظلمة، من الايديولوجيين الاسلاميين المتطرفين الذين يقبعون في مخيمات اللاجئين في غزة، يعبرون عن آرائهم جماعيا ويحلمون بالقاء اليهود في البحر.

حماس، كما يقول ديختر، ستضطر الى الاختيار قريبا بين مسارين: ذاك الذي يؤدي الى ايران، الى التطرف الاصولي والى الصراع الخالد ضد اسرائيل والغرب؛ أو ذاك الذي يؤدي الى داخل المجتمع الفلسطيني، بهدف العمل من أجل الشعب الفلسطيني وتحقيق الحد الاقصى له بهذه الطريقة أو تلك.

ينبغي لنا أن نأمل ان تختار حماس الخيار الثاني. وفي هذا السياق، هناك قصة قصيرة: قبل اسبوعين جرى الحديث هنا عن رئيس بلدية نابلس عدلي يعيش، المقرب من حماس، الذي أمر بتجميد فتح سينما جديدة في مبنى مكاتب يبنى في مركز المدينة. شابانا، قال يعيش، لن يرى افلاما غربية بالمشاهد التافهة. وها هو قبل بضعة أيام يتصل بي يعيش نفسه لنفي ذلك قائلا: «لست رجل حماس، لم أتجول في المبنى، هو ليس من 12 طابقا بل من 8 ولا توجد فيه اي سينما ولم آمر باغلاقه».

أف. ماذا إذن؟ فقد انتخب بتأييد من حماس. مقرب من حماس، وبالفعل تجول في هذا المبنى، ولكن ليس بعد الانتخابات في السلطة الفلسطينية بل قبلها. ونعم، كان يفترض هناك ان تقوم قاعة مناسبات وبث افلام صغيرة، ليس سينما. ولا، لم يغلقه. «فما الدعوة»؟، قال يعيش. «انا نفسي اشاهد الافلام».

اي فيلم شاهدته مؤخرا؟

«لا توجد سينما في نابلس، ولهذا فانا اشاهد التلفزيون».

المعلومة التي نشرت عن يعيش هنا وصلت من جهاز الأمن. معلومة «مؤكدة ومحصورة»، كما يقولون. غير أنه تبين انه لكل معلومة توجد زاوية تفحص منها. كما يتبين أيضا أن رئيس بلدية نابلس يهتم بما نكتبه عنه في صحيفة اسرائيلية، إذ ما يكتب عنه يمس بصورته، وبالتبرعات من منظمات اوروبية ودولية تتأخر والسكان يزعجهم بعض الاكراه الاسلامي وبتعبير آخر: ربما يكون هناك ما يمكن الحديث فيه او من يمكن العمل معه. ما هو مؤكد هو أنه يوجد ما يمكن الكتابة فيه.

بن كسبيت
المراسل السياسي للصحيفة
(معاريف) 2006/2/24

اريبل شارون

ياسر عرفات

الاردن: سيسرنا اقصاء اللواء نافيه الثرثار من منصبه

■ ليس واضحا ماذا دفع اللواء نافيه ليثرثر برأيه. كما ليس واضحا كيف سترتسم شبكة العلاقات اليومية بين قيادة المنطقة الوسطى الاردنية وبين القيادة الاسرائيلية اذ